الجيل الجديد من الحروب الامبريالية الجهادية: (داعش) و(النصرة) أنموذجاً

بهاء عدنان الرقماني*
أكاديمي وباحث من سوريا

* باحث في مركز دمشق للبحوث الاستراتيجية ـ سوريا

مقدمة

استندت العديد من الدراسات والمقالات والتقارير البحثية، التي تناولت نشاط الجماعات المسلحة المرتبطة بتنظيم القاعدة، كـ «جبهة النصرة» وتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، إلى ما يصدر عن تلك المنظمات وقادتها من تصريحات صوتية أو مصورة، وقرارات منشورة مع الإقرار بعدم إمكانية متابعة مصادر تلك المعلومات، إذ إنّه لا حقيقة ملموسة عن تلك الجماعات والتنظيمات، سوى أعمالها الإرهابية والتخريبية على الأرض. وسيتم تسليط الضوء على مجموعة من الحقائق المرتبطة بنشأة التنظيمين، والأدوار العديدة التي يجسدونها في مشاريع التدخل التي يخطها حلف التدخل المعادي لسوريا،في أطار ما يسمى حديثاً (بالامبريالية الجهادية)، وهو المنتج الأحدث للولايات المتحدة وإسرائيل والسعودية وأخواتهم.

أولاً: مشروع التدخل الغربي في سوريا وخيار الحرب بالإنابة

بعيداً عن جدلية جذور الأزمة السورية الراهنة ودوافعها، أصبحت سوريا ومنذ الأيام الأولى للأزمة موضوعاً للتدخل الخارجي من الولايات المتحدة وحلفائها، إذ توزعت أدوار معادلة التدخل بين عدد من الدول والمؤسسات الاقليمية والدولية، لذلك تولت واشنطن إخراج مشهد التدخل بكامل أبعاده وإدارته وتوجيه أدواته، بمساندة حلفائها الصغار في المنطقة، واستغلت واشنطن فرصة الأزمة السياسية لتمارس مزيداً من الضغوط على دمشق،

تولت واشنطن إخراج مشهد التدخل بكامل أبعاده وإدارته وتوجيه أدواته، بمساندة حلفائها الصغار في المنطقة

عن طريق تصعيد وتيرة الأزمة وحرف مسارها بعيداً عن الحلول السياسية، ذلك بدعم ومحاولة شرعنة أعمال التنظيمات والجماعات المسلحة في الداخل، (وهو ما أطلقت عليه واشنطن تسمية المعارضة المسلحة)، وإمدادها بالمال والسلاح عن طريق عملائها من دول ومنظمات وتيارات سياسية وأجهزة استخبارية اقليمية وعالمية، وأعلت من صوتهم وقوَّت مواقفهم عبر وسائل الاعلام الموجهة ضد الدولة السورية، والهدف الأميركي الأول هو إضعاف سوريا ومقدرات جيشها ووحدة صفها الداخلي، وإرضاخها سياسياً للمطالب الأميركية، أياً كان شكل نظام الحكم في دمشق.

ولتوضع التصريحات الأميركية وكل التناقض الذي يلفها بخصوص الدور الأميركي في الأزمة السورية جانباً، إن الولايات المتحدة تقود اصطفافاً واسع الطيف (من حيث الأدوات) على الضفة المعادية للدولة السورية، وليس هذا بمستغرب أو وليد موقف أمريكي مستجد في مقابل حدث دولي طارئ. إن واشنطن أعلنت منذ بداية الأزمة موقفها المعادي للدولة السورية والقائل بوجوب تغيير النظام السياسي وإسقاط الدولة السورية، وإن موقف واشنطن من دمشق يجسد استمرارية لسياسة أمريكية عالمية وشرق أوسطية، لطالما استهدفت سوريا في مختلف المراحل لتحقيق مصالحها الاستراتيجية في هذا البلد وفق معطيات كل مرحلة.

أدارت القوى الغربية حرباً سرية/بالإنابة منظمة ترمي إلى إسقاط الدولة السورية، أوكلت فيها مهمة العمل العسكري إلى مجموعات قتل ومنظمات إرهابية يرعاها الناتو وأتباعه

لجأت واشنطن وبالتعاونمع حلفائها الإقليميين والدوليين إلى مجموعة من الأدوات لفرض إرادتها السياسية على سوريا، ومن أبرزها العقوبات الاقتصادية والهجمة الإعلامية ـ وتشكل الحربين الاقتصادية والإعلامية ركيزتين في الحروب الأميركية المباشرة وغير المباشرة ـ ، وعلى الأرض أدارت القوى الغربية حرباً سرية/ بالإنابة منظمة ترمي إلى إسقاط الدولة السورية، أوكلت فيها مهمة العمل العسكري إلى مجموعات قتل ومنظمات إرهابية يرعاها الناتو وأتباعه.

إن مصطح (**التدخل العسكري**)يشمل طيفاً واسعاً من الأشكال تتدرج من الحرب غير المباشرة، وهو ما يعرف (**باستراتيجية الحرب السرية/ بالإنابة**)، والتهديد باستخدام القوة عن طريق حشد القوات على الحدود وخلق ذرائع

للتدخل العسكري، وصولاً إلى الحرب المباشرة بمختلف أشكالها المحدودة والشاملة، وفي الحالة السورية انحسرت خيارات قوى (حلف التدخل) المعادي لسوريا ضمن حدود التدخل العسكري غير المباشر، واحتكمت بشكل رئيس إلى استراتيجية (**الحرب بالإنابة**).

إن الفعل لدى الدول يتقيد بمقدار القوة المتاح، وفي هذا الصدد تشير التقارير إلى تبلور مذهب جديد للحرب في ظل إدارة أوباما، تفرضه الضغوط الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها الولايات المتحدة، والتي تفرض بدورها قيوداً على الإنفاق العسكري الأميركي.

تعاني الولايات المتحدة من أزمة اقتصادية خانقة مستمرة منذ مطلع العام 2008، أدت إلى عجز متزايد في الميزانية الأميركية بلغ (1، 1) ترليون دولار في عام 2012، وهو يعكس واقع ارتفاع الدين العام الأميركي ليصل إلى (16) ترليون دولار في عام 2012، الأمر الذي فرض على الإدارة الأميركية اتخاذ اجراءات صارمة تحّد من الإنفاق الحكومي في معظم القطاعات الفيدرالية، ويعدّ القطاع العسكري من أكثر القطاعات الفيدرالية المستهلكة نتيجة الاستراتيجية العسكرية والسياسية العالمية التي تنتهجها واشنطن، والتي تفرض عليها نشر قواتها في بقاع مختلفة من العالم، وإنشاء قواعد عسكرية خارجية من أساطيل بحرية وقواعد جوية وفرق مدرعات وقوات خاصة برية، ومن هنا كان لزاماً على الإدارة الأميركية خفض نفقات الدفاع لتقليص العجز في الموازنة الأميركية.

أصدر الكونجرس في عام 2011 قانون ضبط ميزانية الدفاع لخفض الإنفاق العسكري الأميركي بين عامي 2013 و2021، وفي حال تم تطبيق إجراءات الخفض المقررة على نفقات الدفاع، من دون أي تعديل لاحق فيالسنوات المقررة حتى عام 2021، فإن نفقات البنتاغون ستنخفض بمقدار (500) مليار دولار بحلول عام 2021، عن ما هو متوقع في حال تركت دون خفض (يؤخذ بالحسبان مقدار التضخم في الاقتصاد الأميركي)، وأصدر الرئيس أوباما قراراً بخفض الإنفاق الحكومي بمقدار (85) مليار دولار اعتباراً من 1 آذار 2013 لغاية شهر أيلول 2013، ويكون نصفه مُقتصاً من ميزانية الدفاع.

وتفرض السياسات المالية الجديدة على الإدارة الأميركية انتهاج استراتيجيات عسكرية بديلة تتلاءم مع قيود الأزمة المالية، وتسد الفراغ الناتج عن خفض

الإنفاق العسكري، وكان الإعلان عن(**مذهب أوباما العسكري**)Obama Doctrine لمحدودية التدخل العسكري الأميركي في بقاع العالم، ويمكن تلخيص هذا المذهب بالكلمات الآتية: (**أثر خفيف للتدخل الأميركي، ولا إرسال للجنود إلى أرض المعارك**)، a light footprint, not involving boots on the ground، ويأتي تأكيد أوباما أنه لن يزج الولايات المتحدة في حروب خارجية طويلة الأمد، محدداً للدور الأميركي في مواجهة المتغيرات الدولية الحالية، ويشير إلى موقف إدارته المبدئي والمعارض للتدخل العسكري المباشر تجاه عدد من أبرز القضايا الدولية كالملف النووي الإيراني والأزمة السورية، ولكنه فيالوقت نفسه، يعزز من لجوء واشنطن إلى أدوات التدخل البديلة غير المباشرة، لمتابعة تنفيذ سياساتها واستراتيجيتها الخارجية.

الدولة السورية تواجه حرباً تديرها شبكة مترابطة من دول ومراكز استخباراتية ومنظمات وأفراد، إذ يساهم كل طرف في الشبكة بأكثر من دور في عمليات تمويل وتسليح الجماعات المسلحة

وتعد الحرب بالإنابة من أبرز أدوات وأشكال سياسة التدخل في مرحلة التدخل غير المباشر، إذ تسعى قوى التدخل الخارجي إلى ترجمة مصالحها على الأرض، بواسطة دعم وتوجيه جماعات مسلحة لخلق وقائع جديدة تخدم مشروع التدخل وأهدافه.

إن الدولة السورية تواجه حرباً تديرها شبكة مترابطة من دول ومراكز استخباراتية ومنظمات وأفراد، إذ يساهم كل طرف في الشبكة بأكثر من دور في عمليات تمويل وتسليح الجماعات المسلحة، وتجنيد وتدريب المقاتليين الأجانب من مختلف بلدان العالم[1]، وأغلبهم من (الجهاديين) نظراً للدوافع المعلنة التي يقاتلون في سبيلها، وهي إقامة إمارة إسلامية في سوريا أو أجزاء منها.

(1) تشير التقارير الميدانية إلى إنتماء المقاتلين الأجانب «الجهاديين» داخل سوريا إلى دول عدة، وهي وفق آحدث التقارير: (بلجيكا، الولايات المتحدة الأميركية، استراليا، انكلترا، صربيا، الشيشان، افغانستان، باكستان، داغستان، النمسا، هولندا، فرنسا، آذربيجان، تشاد، بلغاريا، ألمانيا، تركيا، الصين، ليبيا، الجزائر، تونس، السودان، العراق، قطر، اليمن، المغرب، مصر، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، الكويت، الأردن، فلسطين، ولبنان)

ثانياً: القاعدة في سوريا صنيعة مشروع الحرب بالإنابة

الشبكة العالمية لتنظيم القاعدة كما روج لها الغرب، هي في الواقع مظلة للعديد من الأفراد والجماعات والتيارات والتنظيمات، التي تتبنى أيديولوجية (**الجهاد العالمي**) كمنهج منظم لإقامة (**دولة إسلامية**)، تعتنق الفكر السلفي التكفيري المتشدد، ومع تبني حلف معاداة سوريا خيار الحرب بالنيابة لإسقاط الدولة السورية، وبحكم الوقائع الجيوسياسية والديمغرافية لسوريا، استحضرت قوى التدخل منهج القاعدة، وأُطلق (الحلف) حملة منظمة لتجنيد

(الجهاديين) من مختلف بقاع العالم، وإرسالهم للقتال ضد الدولة السورية وتأمين استدامة إمدادهم بالمال والسلاح والتدريب والمعلومات الاستخباراتية، ونتج عن تطابق منهجية العمل لكل من (حلف التدخل) و(القاعدة)، خلق أرضية خصبة لولادة تنظيم (جبهة النصرة) والإعلان اللاحق عن إقامة (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وهو ما يعرف اختصاراً بـ(داعش).

توافق ظهور تنظيم (حبهة النصرة) ـ الذي أعلن تبعيته للقاعدة في نيسان 2013 ـ ، مع إطلاق حملة منظمة لتسليح (المعارضة السورية المسلحة) بآلاف الأطنان من السلاح والذخيرة على مختلف أنواعها في مطلع العام 2012، والتي استمرت بوتيرة متزايدة حتى تاريخه[2]، بقيادة قطر بشكل رئيس وتحت إشراف وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية.

(2) An Arms Pipeline to the Syrian Rebels," the New York Times (March 24, 2013) available at http://www. nytimes.com/interactive/2013/03/25/world/middleeast/an-arms-pipeline-to-the-syrian-rebels.html?_r=2&

تتولى السعودية وقطر تمويل الجماعات المسلحة المقاتلة ضد الدولة السورية، وتمويل شراء السلاح من كرواتيا وتجار السلاح في السوق السوداء في أوروبا

إن ما يمكن أن يُطلق عليه (قوى التحالف) ضد سوريا تدير عملية تسليح الجماعات المسلحة في سوريا، وفق مبدأ توزيع العمل والأدوار: تتولى السعودية وقطر تمويل الجماعات المسلحة المقاتلة ضد الدولة السورية، وتمويل شراء السلاح من كرواتيا وتجار السلاح في السوق السوداء في أوروبا، وتؤمن تركيا والمملكة الأردنية دخول السلاح إلى سوريا عبر أراضيها، وتشرف الولايات المتحدة إلى جانب عدد من الدول الأوروبية على كامل عملية التسليح.

وأكدت مصادر الأسوشيتيد برس تولي عناصر من الاستخبارات الأميركية، إلى جانب عدد من العاملين في الاستخبارات البريطانية والفرنسية، مهمة تدريب مقاتلي (المعارضة) السورية والإشراف على توزيع السلاح المهرب إلى داخل سوريا منذ مطلع العام 2012، وتشترك عدد من الشركات الأمنية وشركات المقاتلين المأجورين (المرتزقة) الخاصة والمتعاقدة مع البنتاغون في برامج تدريب مقاتلي المعارضة السورية[3].

(3) Michel Chossudovsky, «The Syria Chemical Weapons Saga: The Staging of a US-NATO Sponsored Humanitarian Disaster?» Global Research, (December 12, 2012)

وأشارت صحيفة النيويورك تايمز في مقالة نشرتها في 26 أذار 2013، إلى أنه وبمساعدة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ضاعفت الحكومات العربية وتركيا، في الأشهر الأخيرة منذ مطلع العام 2012، من مساعداتهم العسكرية إلى مقاتلي المعارضة السورية، عبر إيصال كميات ضخمة من

(4) C. J. Chivers and Eric Schmitt, "An Airlift to Syria, Guided by the C.I.A.," International Herald Tribune, (March 26, 2013) and C. J. Chivers and Eric Schmitt, "Arms Airlift to Syria Rebels Expands, With Aid From C.I.A.," the New York Times, (March 24, 2013)

أكثر من (160) حمولة عسكرية تم شحنها جواً، بواسطة طائرات شحن عسكرية قطرية وسعودية وأردنية

الأسلحة والمعدات العسكرية المشحونة جواً بشكل سري[4]، وتشير الصحيفة إلى أن أكثر من (160) حمولة عسكرية تم شحنها جواً، بواسطة طائرات شحن عسكرية قطرية وسعودية وأردنية. والتي كانت تحط بشكل أساسي في مطار إزينبوغاEsenboga قرب أنقرة وغيره من المطارات التركية والأردنية.

وبحسب الباحث هيوغ غريفيث Hugh Griffiths، من معهد بحوث السلام الدولية في استوكهولم، ومن تتبعه لشحنات الأسلحة غير الشرعية وآتكاله على مصادر مستقلة وعديدة، أن (الحمولات التي كانت على متن هذه الرحلات بلغت ثلاثة آلاف و500 طن من المعدات العسكرية، وفق تقديرات أولية لكمية الأسلحة المشحونة منذ مطلع العام 2012)، وأضاف غريفيث (إن كثافة ووتيرة هذه الرحلات تشير الى وجود عملية عسكرية لوجستية سرية مخطط لها ومنسقة بشكل جيد،[5] وقامت دولة قطر بإرسال طائرات شحن عسكرية من نوع (سي ـ 130 وسي ـ 17) محملة بالأسلحة والمعدات العسكرية، حطّت في مطار اسطنبول ومطار إيزينبوغا التركي، وتنطلق الطائرات القطرية من قاعدة العيديد الجوية في قطر، التي تعد أكبر معقل لإدارة الموارد اللوجستية الأميركية العسكرية في الشرق الأوسط، وتولت الحكومة التركية الإشراف على معظم خطوات برنامج نقل الأسلحة، من بينها تزويد الشاحنات التي كانت تنقل المعدات العسكرية من أراضيها بأجهزة لاسلكي، لتتمكن من تتبعها في تقدمها داخل سوريا، وفي تقرير صادر عن النيويورك تايمز، أشارت الصحيفة إلى أن الجماعات الجهادية المتطرفة، والتي ينتمي معظمها إلى تنظيم القاعدة، كجبهة النصرة تحصل على النصيب الأعظم lion's share من شحنات الأسلحة والمعدات العسكرية، التي ترسلها قطر والسعودية إلى الجماعات المسلحة داخل سوريا[6].

من أبرز الأعراض المرافقة لحملة التسليح العالمية، نمو وانتشار الجماعات السلفية (الجهادية) المسلحة وعلى رأسها تنظيم (النصرة)، وبرز تنظيم (النصرة) منذ إعلان تشكله في مطلع العام 2012، كأكثر المجموعات المسلحة تنظيماً وقوة وفعالية على الأرض في مواجهة الدولة السورية، حتى إنه اصبح القوة المحركة الرئيسية في جبهة (المعارضة المسلحة)[7].

(5) "Officials: Arms Shipments Rise to Syrian Rebels," Associated Press, (March 27, 2013)

(6) "Rebel Arms Flow Is Said to Benefit Jihadists in Syria," the New York Times (October 14, 2012)

(7) Barbara Starr, Holly Yan and Chelsea J. Carter, "Analyst: Al Qaeda affiliate in Syria now best-equipped of the group," CNN (June 18, 2013) http://edition.cnn.com/2013/06/17/world/meast/syria-civil-war/index.html

وفي مقالة نشرها مركز غلوبال ريسيرتش Global Research بعنوان (السي أي أيه، قطر، وتشكل جبهة النصرة السورية)، خَلُص الباحث فيل غريفز Phil Greaves إلى أن الحقائق على الأرض وسيطرة الجماعات السلفية وجبهة النصرة على تكتل (المعارضة المسلحة)، تدحض إدعاءات قوى التدخل الخارجي المتمثلة في الولايات المتحدة وحلفائها الإقليمين والدوليين، بأنها سلحت ودربت ودعمت فقط الجماعات المسلحة (المعتدلة)[8].

(8) Phil Greaves, "The CIA, Qatar, and the Creation of Syria's Jabhat al Nusra," Global Research (May 17, 2013)

ويضيف غريفز بأن الاستخبارات المركزية الأميركية وشريكها القطري، كانوا مطلعين وعلى دراية بالجهات التي ستتلقى دعمهم وسلاحهم، فجبهة النصرة نفذت عدة عمليات عسكرية مركزة تستهدف قواعد الدفاع الجوي السورية، وهي أنظمة صاروخية ورادارية لا تشكل أي خطر يذكر على المعارضة المسلحة، وهو ما يعزز الاعتقاد بأن (النصرة تنفذ أجندة وأوامر خارجية ترمي إلى إضعاف القدرات الدفاعية للدولة السورية)[9].

(9) المرجع السابق نفسه.

وكذلك تشير التقارير إلى وجود تنظيمات مسلحة تعمل على تجميع المقاتلين وتدريبهم وتتواجد قرب الحدود السورية في داخل الأراضي اللبنانية، ومعظم من ينتمي لتلك الجماعات يعمل تحت راية «الجهاد» ويحمل ذات العقيدة الأيديولوجية التي تتبناها (النصرة)، وأكدت عدة تقارير، منها ما صدر عن معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، وجود مخيمات تعمل على تدريب المقاتلين وإرسالهم إلى سورية في كل من لبنان وليبيا. إذ تضم منطقة البقاع في لبنان مجموعة من المخيمات التي تحوي وتدرب ما يسمى (مجاهدين) ـ مقاتلين ذوي عقيدة متطرفة وتكفيرية، على حين تتواجد عدة مخيمات للتدريب في صحراء ليبيا الواسعة بالقرب من منطقة الهون، وكذلك في منطقة الجبل الأخضر، وتعمل على تجنيد وتدريب المقاتلين القادمين من شمال أفريقيا وبعض الدول الأوروبية[10].

(10) Aaron Zelin, "Foreign Fighters Trickle into the Syrian Rebellion," The Washington Institute for Near East Policy (June 11, 2012).

تشير تقارير نشرتها صحيفة الشروق التونسية، تقوم قطر بضخّ أموال إلى جمعيات تونسية غير حكومية لتجنيد جهاديين وإرسالهم إلى سوريا

تشير تقارير نشرتها صحيفة الشروق التونسية، تقوم قطر بضخّ أموال إلى جمعيات تونسية غير حكومية لتجنيد جهاديين وإرسالهم إلى سوريا، وتحصل هذه الشبكات من قطر على عمولةبمبلغ 3 آلاف دولار عن كل شاب تونسي يتم تجنيده، وذكرت جريدة (الشروق الجزائرية) في المقال

الذي يتناول الظاهرة السلفية في تونس، تحت عنوان (عودة جهاديي سوريا التونسيين يهدد استقرار الجزائر)، أن أكثر من (20) جمعية بين حقوقية وخيرية متورطة في عملية التجنيد إلى جانبسياسيين[11]، ويضيف المقال أن عمليات تجنيد الشباب تقوم بها شبكات تنتمي لتنظيمالقاعدة، تتكون من تونسيين وجزائريين وليبيين تتولى استقطابهم في المساجد، ثمتخضعهم لدورات تدريبية في معسكرات توجد بمحافظة غدامس الليبية التي تبعد 70كم عن الحدود التونسية، ثم يخضعون لتدريب أكثر دقة بمحافظة الزاوية الليبية مدة 20 يوماً، وبعد استكمال عمليات التدريب يتم ترحيلهم من ميناءالبريقة إلى إسطنبول وصولاً إلى الحدود السورية[12].

تقدر تقارير إستخباراتية وإعلامية أعداد (الجهاديين) التونسيين الذين يقاتلون في سوريا بين (12000 ـ 17000) مسلح، يقاتلون في معظمهم تحت راية (جبهة النصرة)

وفي غياب إحصائيات دقيقة، تقدر تقارير إستخباراتية وإعلامية أعداد (الجهاديين) التونسيين الذين يقاتلون في سوريا بين (12000 ـ 17000) مسلح، يقاتلون في معظمهم تحت راية (جبهة النصرة) الامتداد التنظيمي للقاعدة في بلاد الشام، وأشارت بعض التقارير إلى دخول قرابة 10،000 مقاتل ليبي إلى الأراضي السورية في مطلع العام 2012، بعد تمركزهم وتلقيهم التدريب في شمال الأردن، وتولت قطر والسعودية تمويل تلك الجماعات بمبالغ تقدر بألف دولار شهرياً لكل فرد[13]،وأفادت صحيفة دير شبيغل الألمانية، أن ما يقارب (600)أوروبي انضموا إلى القتال في سورية منذ بداية الأحداث في 2011، جميعهم من المتطرفين الإسلاميين[14]،ويشير الباحث أرون زيلين، من معهد واشنطن لدرسات الشرق الأدني، إلى أن المقاتلين الأجانب في سورية ينتمون إلى جنسيات عربية مختلفة (لبنانيين، وسودانيين، وليبيين، ومصريين، وعراقيين، وجزائريين، ويمنيين، وتونسيين، وفلسطينيين، وأردنيين، وكويتيين، وسعوديين)، إي جامعة الدول العربية، ومن دول جنوب ووسط أسيا (أفغان، وبنغلادشيين، وباكستانيين، وقرغيزيا)، وينتمي العديد إلى الدول الغربية (ألمانيا، بلجيكا، بريطانيا، فرنسا، وأمريكا)[15].

ولا يمكن تصور دخول تلك الجماعات الإرهابية إلى سوريا إنطلاقاً من بنغازي وعبر تركيا والأردن، من دون دراية وتنسيق مع الولايات المتحدة الأميركية، سياسات الناتو الداعمة للجماعات الإرهابية في سوريا، تغذي تنظيم القاعدة في إقليم الشرق الأوسط، وهو ما يفسر صعود تنظيم جبهة

(11) «عودة جهاديي سوريا التونسيين يهدد استقرار الجزائر»، جريدة الشروق الجزائرية، (31 آذار 2013) متاح على الموقع http:// www.echoroukonline.com/ara/articles/160533.html

(12) المرجع السابق

(13) Made in Jordan: Thousands of gunmen preparing to enter Syria?" RT, (February 21, 2012) available at http://rt.com/news/jordan-syria-intelligence-training-859/

(14) Bürgerkrieg in Syrien:?ber hundert Europ?er haben sich Rebellen angeschlossen," Der Spiegel (3 April 2013) available at http://www.spiegel.de/politik/ausland/syrien-bis-zu-600-europaeer-kaempfen-gegen-assad-a-892228.html

(15) Aaron Zelin, "Foreign Fighters Trickle into the Syrian Rebellion," The Washington Institute for Near East Policy (June 11, 2012).

النصرة ونموه المتسارع، وهذا ما يشكل تهديداً مباشراً لأمن المنطقة ودولها، وتفيد دراسات مركز ستراتفور الاستخباري، بأن السعودية هي الداعم الأكبر للجماعات (الجهادية) المسلحة وجماعة (جبهة النصرة) داخل سوريا[16].

"In Syria, the Challenges of Sanctioning a Rebel Group," Stratfor (December 12, 2012) (16)

إن المملكة السعودية تدعم انتقال المقاتلين (الجهاديين) إلى سوريا للقتال ضد الحكومة السورية، وتقوم هذه السياسة السعودية على مجموعة من الحسابات، التي يلخصها تقرير صادر عن مركز ستراتفور يحمل عنوان (تبعات التدخل في سوريا)[17]، في النقاط الآتية:

Scott Stewart, "The Consequences of Intervening in Syria," Stratfor (January 31, 2013) (17)

- كسر (محور المقاومة) عبر تدمير الدولة السورية، وتضييق الخناق على حزب الله اللبناني.
- إضعاف النفوذ الإيراني في المنطقة، عن طريق دعم المتطرفين التكفيريين في سوريا.
- التخلص من المتطرفين في السعودية واليمن ـ الدولة الجارة على حدودها الجنوبية ـ بإرسالهم للقتال في سوريا.
- تصوير السعودية على أنها مدافع عن العالم الإسلامي، وتهدئة الانتقادات الداخلية لتحالفها مع القوى الغربية.

Kamran Bokhari, "State Sponsors of Jihadism: Learning the Hard Way," Stratfor (July 18, 2007) (18)

غير أن تاريخ السياسة السعودية التي لطالما استخدمت المتطرفين الاسلاميين كأداة في سياستها الخارجية، يشير إلى كثير من الحالات التي انقلبت فيها تلك المجموعات المتطرفة على المملكة وشكلت خطراً عليها[18].

ويشار إلى كون المملكة السعودية وعدد من دول الخليج العربي، تشكل أدوات رئيسة في أي مشروع أمريكي، يستعين بالتنظيمات الإرهابية والمتطرفة الإسلامية، التي تنشط تحت راية (الجهاد العالمي)، إن المملكة السعودية وقطر هي رأس الأفعى للتيارات الإسلامية المتطرفة في جميع أنحاء العالم، والتي تجعل من وجود جماعة إسلامية أو تنظيم إسلامي في أي بلد في العالم، خطراً يتربص بالأمن القومي لذلك البلد متى أرادت القوى الغربية استهدافه. إن جزءاً من معادلة الأمن القومي المتعلقة بالوحدة الوطنية

إن المملكة السعودية وقطر هي رأس الأفعى للتيارات الإسلامية المتطرفة في جميع أنحاء العالم

إن السعودية خبرت صناعة القنابل المتطرفة الموقوتة (التنظيمات الإسلامية المتطرفة والتكفيرية)، واستخدامها متى صدرت الأوامر من واشنطن

والإقليمية، والاستقرار السياسي والأمني في الدول التي تضم أقاليم إسلامية،أو يدين جزء من سكانها بالدين الإسلامي، لا يمكن أن يتحقق بشكل كامل إلا بقطع رأس الأفعى في خطوة استباقية،أو إبعادها عن المحور الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية. إن السعودية خبرت صناعة القنابل المتطرفة الموقوتة (التنظيمات الإسلامية المتطرفة والتكفيرية)، واستخدامها متى صدرت الأوامر من واشنطن، وغالباً ما يُستدل إلى دخول تلك القنابل في مرحلة الإعداد والتحضير من الملامح التالية:

- استهداف التيارات والرموز الاسلامية المعتدلة في البلد المستهدف.
- بدء تشكل جماعات وتيارات إسلامية متطرفة غير معتدلة، وغالباً بشكل غير علني، ويُستدل عليها استخباراتياً في مراحلها البدائية.
- انطلاق حملة إعلامية ودعائية ممنهجة تطال النسيج الاجتماعي والتركيبة الدينية للبلد المستهدف (وتُسخدممنها لغة البلد المستهدف).
- نمو مظاهر التطرف الديني وظهور دعوات دينية متشددة، لا تتلاءم مع واقع وعرف التعايش الاجتماعي السائد في البلد المستهدف.
- تدفق أموال خليجية وسعودية بشكل خاص إلى جماعات معينة وأشخاص ينشطون داخل البلد المستهدف.

وفي مرحلة انفجار القنبلة (التنظيمات الإسلامية المتطرفة والتكفيرية) تبرز المعطيات التالية:

- ظهور الجماعات الإسلامية المتطرفة والتكفيرية بشكل علني.
- تمويل نشاط تلك الجماعات من دول ومؤسسات عالمية، تحت مختلف الذرائع وعلى رأسها الدعوات الدينية والإنسانية والديمقراطية.
- تدريب وتسليح أفراد الجماعات المتطرفة.
- الدعوة إلى «الجهاد العالمي» لتجنيد المقاتلين من مختلف أنحاء العالم.
- فتح منافذ لتدخل القوى الخارجية المعادية للبلد المستهدف، عن طريق ما يعرف باستراتيجية الحرب بالإنابة.

وعقب انفجار قنبلة التطرف، يجب على البلد المستهدف إحتواءها ومن ثم إزالة آثارها، وإن فشلت عملية الإحتواء يرجح عندئذ تفشي آثار القنبلة على نطاق عابر للحدود، وتكون الدول التي ينتمي «الجهاديين» إلى جنسيتها، الأكثر عرضة للخطر نتيجة الروابط الشبكية العابرة للحدود التي تقوم عليها التنظيمات «الجهادية» التكفيرية المتطرفة. وفي حال نجاح عملية الاحتواء يتم تعطيل مفعول القنبلة، وقطع أواصلها الشبكية حول العالم، وبالتالي تُثبط القنابل المتطرفة في مراحلها التحضيرية في البلدان الأخرى.

ثالثاً: (جبهة النصرة) و(داعش): أدوار عديدة في مشروع التدخل الغربي

إن انخراط تنظيم القاعدة أو التنظيمات التابعة له أو التي تتبنى نهجه في أزمة سياسية أو نزاع مسلح داخلي في بلد ما، يدفع إلى استدامة النزاع وتفاقمه ويقلل من احتمالات بلوغ حلول سياسية للأزمة، وتتبني الجماعات المسلحة التابعة للقاعدة تعاليم متشددة ترفض المساومات، وأية تسويات عقلانية قد تكبح حدة الأزمات الداخلية، فهي طرف خارجي ذو أجندات خارجية تُعرِّف نشاطها في معطى إقليمي معين، على أنه جزء لا يتجزأ من مشروعها العالمي في إقامة دولة إسلامية.

يخدم تنظيم القاعدة بمختلف تسمياته وتفرعاته، ومن الناحية العملية بأقل تقدير، مشاريع التدخل الغربية والأميركية التي تستهدف دول العالم الإسلامي أو المجتمعات والدول، التي تضم في نسيجها جماعات إسلامية على وجه الخصوص، إذ تساهم نشاطات القاعدة الإرهابية في تمكين ثلاث من أهم دعائم سياسة التدخل الغربي:

- **الفوضى**: إن تفشي الفوضى شرط لازم لتمكين تشكل وانتشار تنظيم القاعدة، وعليه يعمل التنظيم على تأمين استدامة حالة الفوضى، وهي مرحلة ضرورية ومتقدمة في مشروع (الفوضى الخلاقة)، الذي ابتدعته قوى التدخل الغربية والذي يتيح المجال أمام تفعيل سياسة التدخل، لإعادة ترتيب الأوضاع السياسية والاقتصادية بما يضمن مصالح الغرب الاستراتيجية في البلد المستهدف.

- **الدمار**: تعلن القاعدة أن مشروعها البعيد المدى، هو بناء دولة إسلامية

سلفية تطبق أحكام الشريعة الإسلامية بالصورة المتطرفة والمتشددة التي يقدمونها، وهو ما قد يأخذ شكل إمارات محلية ومناطقية على المدى القريب والمتوسط، ويتطلب تحقيق أهدافهم أولاً تدمير الدولة المستهدفة بكل مؤسساتها القائمة من جيش وأمن وإدارات مركزية ومحلية ومؤسسات دينية. ويطال دمار إرهابهم البنى التحتية بمختلف أشكالها تلبية لفتاوى تكفير الدولة والعاملين لديها. وبالتالي تضعف قدرة الدولة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً على الصمود أمام هجمة التدخل الخارجي.

● **الانقسام**: تتبنى القاعدة ومختلف التيارات السلفية «الجهادية» التي تسير على دربها الفكر التكفيري الإقصائي، مما يساهم في خلق شروخ اجتماعية وانقسامات سياسية حادة قد تصل حد اندلاع حرب أهلية وتشجع على ظهور دعوات التقسيم، وتتشكل بذلك بيئة سياسية واجتماعية هشة مستقطبة للتدخلات الخارجية، وفي كثير من الحالات مطالبة بها.

أكد تقرير مركز ستراتفورالمعروف بنشاطه الاستخباري تواجد مجموعات وتيارات تنتمي إلى تنظيم القاعدة وتعمل على الأرض السورية، وحدد التقرير هدف القاعدة في البلاد العربية بإسقاط الحكومات العربية والحلول محلها، وبأن التنظيم يلجأ إلى الإرهاب والهجمات الإرهابية بهدف استجلاب تدخلات أمريكية في المنطقة، مما يفتح المجال أمام الجهاديين للاستيلاء على السلطة[19]، بكلمات أخرى فأن تنظيم القاعدة يسعى نحو الاستيلاء على السلطة عن طريق إضرام الفوضى، والتدخل الخارجي العسكري يمثل أسرع الطرق نحو الفوضى وإحداث فراغ في السلطة. ويكمل التقرير بأن (إشعال فتيل الحرب الطائفية في المنطقة، يمثل البديل التكتيكي للقاعدة لخلق حالة الفوضى وفراغ السلطة)[20]، وعليه تسعى تلك الجماعات نحو إفشال أي مساعي سياسية أوتفأوضية لحل الأزمات القائمة.

(19) Kamran Bokhari, "Jihadist Opportunities in Syria," Stratfor (February 14, 2012). Available at http://www.stratfor.com/weekly/jihadist-opportunities-syria

(20) المرجع السابق.

وتكشف مقالة نُشرت في عام 2007 للباحث والصحفي الأميركي سيمور هيرش بعنوان (إعادة التوجيه) The Redirectio، عن دور الولايات المتحدة وبالتعاونمع حلفائها في منطقة الشرق الأوسط، في تهييج التطرف والانقسام الديني في دول المنطقة واعتمادها على الجماعات الإسلامية المتطرفة، كأداة في تنفيذ مشاريعها في المنطقة التي تستهدف كل من سوريا وإيران وحركات المقاومة وخاصة حزب الله اللبناني[21].

(21) Seymour Hersh, "The Redirection," the New Yorker (March 5, 2007) available at http://www.newyorker.com/reporting/2007/03/05/070305fa_fact_hersh#ixzz2EXIihXWV

ينشط تنظيم القاعدة بشكل علني عبر تنظيمي (جبهة النصرة)، الذي أعلن عن تشكيله في مطلع العام 2012، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، والدولة الإسلامية في العراق والشام هي تنظيم (جهادي) مسلّح ينشط في العراق وسوريا، وينتمي أفراده إلى مختلف بقاع العالم، ويهدف إلى نشر فكره المتطرف وإقامة إمارته السلفية (الجهادية)، على أرض الشام والعراق بمفهومها الجغرافي الواسع، والذي يشمل سوريا والأردن ولبنان وفلسطين والعراق.

الدولة الإسلامية في العراق والشام هي تنظيم (جهادي) مسلّح ينشط في العراق وسوريا، وينتمي أفراده إلى مختلف بقاع العالم

يلقب قائد التنظيم بـــ(أمير المؤمنين)، والمعلن أن القائد الحالي هو أبو بكر البغدادي، الذي ينسب إليه تشكيل تنظيم (الدولة الإسلامية في العراق) في 15 تشرين الأول 2006. ودولة العراق الإسلامية هي تنظيم مسلح شكل عام 2006، من عدد من الجماعات المسلحة التي تدعي حمل راية الجهاد لإقامة دولة إسلامية في العراق، ومن أبرز تلك التنظيمات: (مجلس شورى المجاهدين في العراق)، (التوحيد والسنة)، (جيش الطائفة المنصورة)، (الجهاد الإسلامي ولواء المرابطين) و(جند الصحابة).

قُدّمَت (داعش) في بادىء الأمر على أنها اندماج لتنظيمي (دولة العراق الإسلامية) و(جبهة النصرة لأهل الشام)، وأعلن زعيم التنظيم أبوبكر البغدادي، في رسالة صوتية بُثت على الانترنت في التاسع من نيسان 2013، (لقد آن الآوان لنعلن أمام أهل الشام والعالم بأسره، أن جبهة النصرة ما هي إلا امتداد لدولة العراق الإسلامية وجزء منها).

أبرز تلك التنظيمات:)مجلس شورى المجاهدين في العراق)، (التوحيد والسنة)، (جيش الطائفة المنصورة)، (الجهاد الإسلامي ولواء المرابطين) و(جند الصحابة)

وأضاف في رسالته أنه تم (إلغاء اسم دولة العراق الإسلامية وإلغاء اسم جبهة النصرة وجمعهما، تحت اسم واحد هو الدولة الإسلامية في العراق والشام)، غير أن قيادات «النصرة» سارعت في رفض قرار الاندماج الذي أعلنه البغدادي، ومن جانبه أمر زعيم «القاعدة» أيمن الظواهري بإلغاء الاندماج، إلا أن البغدادي أصر على توسيع دائرة نشاط تنظيمه ليضم سوريا، ولتصبح «داعش» واحدة من الجماعات المسلحة الرئيسية التي تقاتل ضدّ الدولة السورية.

في واقع الأمر يشكل وجود جماعات القاعدة ضرورة عملية في مشروع التدخل الغربي، لتعقيد مشهد الأزمة السورية إذ يتنصل جميع أطراف وقوى التدخل الخارجي من ارتباطهم بجماعات القاعدة، ويدعون افتقارهم لأي نفوذ للتأثير على نشاط القاعدة، مما يمكنهم مثلاً من خوض عملية تفاوضية دون الإلتزام بإنهاء العنف، وهو ما يقوي من موقفهم التفاوضي.

وفي هذا السياق، دفعت السعودية إلى تشكيل كيان مسلح جديد تحت مسمى «جيش الإسلام»، ليحل محل ما يسمى (الجيش السوري الحر)[22]، وأُعلن عن تشكيل «جيش الإسلام» في 29 أيلول 2013 ليضم تحت رايته ما يقارب الخمسين ألف من عناصر الجماعات المسلحة السلفية، التي كان ينشط معظمها تحت مظلة «الجيش الحر» سابقاً. وتأتي خطوة السعودية لضمان استمرار دوامة العنف بالتزامن مع التحضيرات لإطلاق عملية التفاوض في المرحلة القادمة، إذ أعلنت الجماعات المنضوية تحت راية «جيش الإسلام» عدم اعترافها أو تقيدها بقرارات مجالس المعارضة الخارجية (المجلس الوطني السوري والإئتلاف السوري لقوى الثورة والمعارضة) أو «المجلس العسكري الأعلى»، وأن هدفها هو إقامة حكم الشريعة في البلاد. وعملت آلة الدعاية الغربية والخليجية على إظهار «جيش الإسلام»، على أنه تحالف للجماعات السلفية «المعتدلة» المحلية لمواجهة العناصر الأجنبية المتطرفة التي تشكل تنظيم (داعش)[23].

(22) Ian Black, "Syria crisis: Saudi Arabia to spend millions to train new rebel force," *the Guardian* (November 7, 2013) available at http://www.theguardian.com/world/2013/nov/07/syria-crisis-saudi-arabia-spend-millions-new-rebel-force

(23) Phil Greaves, "Syria: 'The Army of Islam'; Saudi Arabia's Greatest Export," Global Research (October 3, 2013)

ويرى الصحفي السعودي عبد الله القفاري في مقالة نشرتها صحيفة الرياض، أن الهدف من ظهور تنظيم داعش هو (إطالة عمر الدولة السورية)، عن طريق شيطنة أعدائها وإرباك قوى التدخل الغربية، ودفعها نحو التردد في دعم «المعارضات السورية المسلحة»، وهي بذلك ضرورة صنعها (عقل شيطاني كبير) بحسب قول القفاري[24].

(24) عبدالله القفاري، «من صنع داعش؟» جريدة الرياض، عدد 16562 (28 تشرين الأول 2013) متاح على الموقع http://www.alriyadh.com/2013/10/28/article879058.html

في حين تؤكد مختلف المصادر الغربية، أن الجزء الأعظم من مقاتلي تنظيم «داعش» هم منشقين عن «جبهة النصرة» وغيرها من التنظيمات السلفية «الجهادية»، التي تنشط داخل سوريا تحت مظلة ما يسمى «الجيش السوري الحر». وعليه يكون حلف التدخل المعادي لسوريا الذي تقوده واشنطن، المصدر الرئيس لإمداد «داعش» بالمال والسلاح والمقاتلين المدربين.

وفي مقالة نشرتها الواشنطن بوست، رأت الصحفية لوفيداي موريس

Loveday Morris، أن ظهور «داعش» مؤخراً على ساحة الصراع المسلح في سوريا، ساهم في تحسين صورة «جبهة النصرة» وإظهارها أكثر اعتدالاً كحركة سورية، إذانشق أكثر المقاتلين تشدداً ومعظمهم من الأجانب عن «النصرة»، وإنضموا إلى «داعش»[25]، وبذلك قد يدفع ظهور «داعش» إلى تمكين قوى التدخل من إيجاد منفذ جديد لشرعنة «جبهة النصرة»، أكثر التنظيمات المسلحة فعالية، وإعادة دعمها والتراجع عن إدراجها ضمن قائمة الإرهاب الأميركية.

(25) Loveday Morris, "In Syrian civil war, emergence of Islamic State of Iraq and Syria boosts rival Jabhat al-Nusra," the Washington Post (October 25, 2013)

أدرجت الحكومة الأميركية «جبهة النصرة» ضمن القائمة الأميركية للمنظمات الإرهابية في كانون الأول 2012، بعد عام من انتشار التنظيم وترسخ أقدامه، وهو القرار الذي أتاح عملياً مساحة أوسع للمناورة لدى كل من قوى حلف التدخل المعادي لسوريا والجماعات المقاتلة بالإنابة عنها على الأرض. أتت الخطوة الأميركية لتبتدع فكرة التمييز بين جماعات مسلحة «معتدلة» مجسدة أساساً في كيان ما يسمى «الجيش السوري الحر» وأخرى متشددة وإرهابية تابعة للقاعدة تمثله «النصرة»، وبهذا يتم تحميل القاعدة جميع الجرائم المرتكبة من قبل تيارات «المعارضة المسلحة»، وكذلك يصبح دعم وتسليح الجماعات «المعتدلة» خياراً ضرورياً للحد من نفوذ القاعدة.

أن إعلان واشنطن جبهة النصرة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية، لا يعدو كونه خطوة رمزية لتفادي التناقض في السياسة الخارجية الأميركية

غير أن إعلان واشنطن جبهة النصرة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية، لا يعدو كونه خطوة رمزية لتفادي التناقض في السياسة الخارجية الأميركية، فالعقوبات انتقائية وغير ممكنة التنفيذ عملياً، والدعم مستمر فالهدف واحد هو إسقاط الدولة السورية والأداة هي الإرهاب. وسياسة دعم واستخدام الحركات الإرهابية، المصنفة كذلك من الولايات المتحدة، ليس بجديد في السياسة البرغماتية التي تنتهجها واشنطن. أكدت مجلة النيويوركر الأميركية New Yorker أن الولايات المتحدة تقوم بتدريب وتمويل عناصر من جماعة مجاهدين خلق[26]، المعارضة للقيادة الإيرانية والمصنفة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية التي تصدرها الولايات المتحدة الأميركية[27]، والمسؤولة عن اغتيال العديد من العلماء النوويين الإيرانيين[28]، ولتعزيز صلاتها بالمنظمة، رفعت وزارة الخارجية الأميركية منظمة مجاهدي خلق من قائمة المنظمات الإرهابية في 28 أيلول 2012. وقامت واشنطن بدعم وتسليح وتمويل وتدريب مسلحي الجماعة المقاتلة الإسلامية الليبية،في غزو

(26) "Our Men in Iran?" The New Yorker(April 6, 2012)

(27) "Foreign Terrorist Organizations, Bureau of Counterterrorism," U.S. Department of State, (Janurary 27, 2012)

(28) "US operated deep in Iran, trained assassins," YNET News, (April 8, 2012)

الناتو لليبيا في عام 2011، وذلك دونما أي حساب لواقع انضمام تلك الجماعة لتنظيم القاعدة في المغرب سنة 2007، بحسب التقارير الرسمية الصادرة عن مركز الموقع الغربي لمكافحة الإرهاب في الجيش الأميركي US Army's West Point Combating Terrorism Center (CTC).

إن واشنطن تبني تحالفاتها وعلاقاتها في الشرق الأوسط بشكل يتعارض مع ما تعلنه من قيم ومبادئ بشكل صارخ، مما يطرح التساؤلات حول مصير تلك السياسة، وما إذا كانت واشنطن قادرة على متابعتها وتدارك تبعاتها الدولية والداخلية. فالجماعات المسلحة التي دعمتها واشنطن في ليبيا وسوريا، قامت وتقوم بأفظع الجرائم وتكشف عن أهدافها إقامة دولة أصولية، لا تعنى بالقيم والمبادئ الديمقراطية وحكم القانون، وتؤجج النزاعات الطائفية والعرقية، وتعلن عن ارتباطاتها مع التنظيمات الإرهابية الدولية وعلى رأسها تنظيم القاعدة، وكل ذلك يتعارض مع ما تعلنه الولايات المتحدة من قيم وأهداف وحرب على الإرهاب.

وينتقد الباحثان سيميس وساوندرس الازدواجية الصارخة في السياسة الأميركية في العقدين الأخيرين، إذ تبعث تلك السياسة المزدوجة برسائل متناقضة ومختلطة تقلل من المصداقية الأميركية. فمن جهة أولى تدعو الولايات المتحدة إلى نشر القيم «الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتضغط على الآخرين للتقيد بالمعايير الأميركية، حتى إنها تعمل على الإطاحة بالنظم غير الديمقراطية[29]، وعلى الطرف الآخر عملت واشنطن مع عدد من أكثر النظم الشمولية في العالم، ومازالت تعمل مع السعودية وقطر ـ وهما من أكثر النظم الاستبدادية ـ لإزالة نظام الأسد في سوريا، وهو ما يشكل تناقضاً جلياً بين المعلن الأخلاقي والعملي البرغماتي في السياسة الأميركية[30].

(29) Dimitri K. Simes and Paul J. Saunders, "Leading Blindly across a Minefield," the National Interest (January 2, 2013)

(30) المرجع السابق

وفي سوريا تتكشف عيوب التناقض في السياسة الأميركية وازدواجيتها، في التعامل مع التنظيمات الإرهابية المتطرفة في واقع أن أتباع مقاتلي الجماعة الاسلامية الليبية الذين أتهموا بهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2012 ضد القنصلية الأميركية في بنغازي هم نفسهم من يتلقى دعم الناتوعن طريق تركيا، العضو في الناتو ليتولوا نقل المقاتلين والسلاح إلى داخل سوريا. وهذا ما أكدته مجلة التلغراف البريطانية عبر تسمية

عملت واشنطن مع عدد من أكثر النظم الشمولية في العالم، ومازالت تعمل مع السعودية وقطر ـ وهما من أكثر النظم الاستبدادية ـ لإزالة نظام الأسد في سوريا

مقاتلي الجماعة الإسلامية الليبية وقياداتهم بالاسم، كواحد التنظيمات المقاتلة ضد الدولة السورية، في تغطيتها لتطورات الأحداث في سوريا في شهر تشرين الثاني عام2011، في مقالة بعنوان «قيادي إسلامي ليبي يلتقي جماعة الجيش السوري الحر المعارضة[31]»، وفي مقالة أخرى بعنوان «الحكام الليبيون الجدد يقدمون السلاح للمتمردين السوريين[32]»، أكدت التلغراف دور التنظيمات الإسلامية الليبية المتطرفة والدولة الليبية في العمليات القتالية ضد الدولة السورية.

(31) Leading Libyan Islamist met Free Syrian Army opposition group," the Telegraph (November 27, 2011)

(32) Libya's new rulers offer weapons to Syrian rebels," the Telegraph (November 25, 2011)

إن الإعتراف بنشاط القاعدة داخل سوريا أو غيرها من الدول المستهدفة التي يستهدفها الغرب، يقدم ذريعة ذات أوجه عدة ومتباينة، كالآتي: إن وجود جماعات مسلحة تابعة للقاعدة في بلد ما، يتيح منفذاً واسعاً للتدخل الغربي بذريعة مكافحة الإرهاب العالمي، وفي المقابل يمكن لقوى الغرب أن تسوغ عدم تدخلها المباشر في بلد ما لحسم الصراع ـ وهو ما يمكن أن يطلق عليه (سياسة الحفاظ على الوضع الراهن) (سياسة إطالة الأزمة) ـ خشية المساهمة في تقوية نفوذ القاعدة وانتشارها، وهنا أيضاً يمكن الاستناد إلى ذات الذريعة لإيجاد مخرج للإنسحاب من ساحة الصراع الدائر مع حفظ ماء الوجه.

إن وجود جماعات مسلحة تابعة للقاعدة في بلد ما، يتيح منفذاً واسعاً للتدخل الغربي بذريعة مكافحة الإرهاب العالمي

وفي الحالة السورية، تذرعت قوى التدخل الغربية بوجود القاعدة لتسويغ سياسة التدخل تحت مختلف المسميات، وكان أبرزها: التدخل لحماية الأقليات; تأمين غلبة أطراف من «المعارضة المسلحة» غير المنتمية لتنظيم القاعدة، عن طريق تزويدهم بالمال والسلاح والمعلومات الاستخباراتية والتدريب، بمزيد من المال والسلاح[33]، وهنا تسعى دول حلف التدخل ضد سوريا إلى تبرير سياسة تسليح المتمردين والجماعات المسلحة، بدعوى موازنة نفوذ القاعدة والحد منه في سوريا، وفي حال تصديق دعوى الغرب، بشأن سياسة سباق للتسلح بين أطياف الجماعات المسلحة التي تعمل ضد الدولة السورية، فإن النتيجة تبقى واحدة، إسقاط الدولة السورية، والوسيلة نفسها، التدخل الخارجي.

(33) Martin Chulov and Ian Black, "Syria: Jordan to spearhead Saudi Arabian arms drive," the Guardian (14 April 2013) available at http://www.guardian.co.uk/world/2013/apr/14/syria-jordan-spearhead-saudi-arms-drive

وفي هذا الصدد، يوصي أرون زيلين Aron Zelin، باحث في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، واشنطن بضرورة التدخل في سوريا لاحتواء نفوذ

تنظيم القاعدة المتنامي في البلاد، وذلك عن طريق دعم حركات وتيارات «المعارضة المسلحة» الأخرى غير المنتمية للقاعدة[34]، وأطلق زيلين مصطلح «الإمبريالية الجهادية» واصفاً به النشاط العالمي لتنظيم القاعدة. وفحوى هذا المصطلح، هو أن القاعدة تنشط على مستوى عالمي وبشكل هادف وتقودها أيديولوجية «إسلامية متطرفة»، تتعارض بشكل كامل مع الأيديلوجية الغربية العالمية، التي تبنت (الديمقراطية والليبرالية) عنواناً لها. وحكم تلاقي الايديولوجيات العالمية المتعارضة في تاريخ العلاقات الدولية هو الصراع. وبعبارة أخرى، فإن «الإمبريالية الغربية» في صراع مع «الإمبريالية الجهادية»، وهي العدو العالمي، ضرورة موضوعية لخلق ذريعة سياسة التدخل الغربية.

(34) Aron Zelin, "Al-Qaeda Announces an Islamic State in Syria," the Washington Institute for Near East Policy (April 9, 2013)

أحد أوجه تعقيدات المشهد السوري المتداخل هو (تطور حالة) صراع بالإنابة بين العالم الغربي، بقيادة الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة الدولي

وفي السياق نفسه، كتب الصحفي جيم موير Jim Muir في مقالة نشرتها شبكة أخبار البي بي سي BBC، بأن «أحد أوجه تعقيدات المشهد السوري المتداخل هو (تطور حالة) صراع بالإنابة بين العالم الغربي، بقيادة الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة الدولي[35]، ويُرجع موير هذا الصراع إلى إعلان جبهة النصرة أنها فرع للقاعدة في سوريا، وبأن هدفها هو إقامة دولة إسلامية، وهو ما يتعارض حكماً مع المشروع «الديمقراطي»، الذي تتبناه جماعات «المعارضة المسلحة المعتدلة» المدعومة من الغرب وأتباعه الاقليميين.

(35) Jim Muir, "Syria: Proxy war heats up as endgame inches closer," BBC News (April 12, 2013) available at http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-22123660

انطلاقاً من موقع سوريا الجيوستراتيجي ومجاورتها لحلفاء واشنطن وخاصة إسرائيل، يمكن القول بأن أقلام الباحثين في المعاهد ومراكز الدراسات الموالية للغرب والصهيونية، فضلاً عن التقارير الإنسانية التي تقدمها المنظمات غير الحكومية، تتحضر لخط دعوات التدخل العسكري في سوريا، في حال انهيار الدولة السورية تحت راية مجابهة الجماعات والتنظيمات «الجهادية» المتطرفة وتلك المرتبطة بالقاعدة.

خاتمة: نهج القاعدة من ضرورات الحرب الأميركية بالإنابة

يعتمد الكثير من الباحثين في حقل العلاقات الدولية والسياسة ووسائل الإعلام بتنوعها، في تناولهم لقضية أو حدث معين على التسميات العلنية المتداولة، كمعطيات جامعة مانعة وخطوط متمايزة تبنى عليها التحليلات والاستنتاجات. فالمقاتلون المنتمون «لجبهة النصرة» و«داعش»، هم أعضاء

في تنظيم القاعدة، وبالتالي نشاطهم إرهابي،أما المقاتلون والمجموعات المسلحة التي تشارك «القاعدة» عملياتها وتعتنق عقيدتها السلفية والتكفيرية وتنادي بشعاراتها الايديولوجية نفسها، لها حكم مختلف فدأب الغرب على وصفهم بمقاتلي الحرية. يتجاهل هذا النمط «البحثي» الضيق، عمداً في كثير من الحالات، العناصر الأخرى المكونة لشخصية جماعة مسلحة، كالأهداف الاستراتيجية والعقيدة الأيديولوجية، ووفق هذا المنظور الأخير، لا يوجد ضابط فعلي يمكن منه التمييز بين عناصر أفرع تنظيم القاعدة وغيرها من الجماعات «الجهادية» السلفية.

في الواقع تعتمد قوى التدخل الغربية وأتباعها الإقليميين، الأساليب نفسها التي تنتهجها القاعدة في تجنيد وتدريب المقاتلون حول العالم، ويحملوهم بالأيديولوجية السلفية «الجهادية» والتكفيرية، وبناء عليه يكون المقاتلين من غير الجنسية السورية، الذين يتم تجنيدهم باسم «الجهاد» وإرسالهم للقتال ضد الدولة السورية في بوتقة واحدة، مع «جبهة النصرة» وتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، ويخدمون عملياً ما يسميه الغرب «المشروع العالمي لتنظيم القاعدة».

وفي استهدافها لسوريا استخدمت قوى التدخل الخارجي بزعامة واشنطن المنظمات الإرهابية، لتكون أداة القتال بالإنابة عنها داخل سوريا، وشكلت منها جماعات للقتل تابعة للناتو، لتكون جنود مشاة لها على الأرض، وضمنت واشنطن عبر حلفائها الاقليميين، تمويل وتسليح وتجنيد المقاتليين وتدريب جماعات القتل والمنظمات الإرهابية التابعة لتنظيم القاعدة، لتمكينهم من اسقاط حكومة دمشق عبر استراتيجية الحرب السرية/ بالإنابة.

استخدمت قوى التدخل الخارجي بزعامة واشنطن المنظمات الإرهابية، لتكون أداة القتال بالإنابة عنها داخل سوريا، وشكلت منها جماعات للقتل تابعة للناتو

في إدارة حربها السرية/ بالإنابة تستعين واشنطن بعدد من الدول الحليفة لها، ويتم انتقاء تلك الدول وفق المعطيات الجغرافية والسياسية والديمغرافية للبلد المستهدف. تحتاج واشنطن إلى دولة أو أكثر من دول الجوار الجغرافي للبلد المستهدف، فضلاً عن تيارت سياسية حليفة للغرب في تلك البلدان لتشكيل مراكز قيادة متقدمة لإدارة الحرب بالإنابة، وتسهيل عملية الإمداد اللوجستية بمختلف أشكالها للجماعات المسلحة الموالية للغرب، والتي تعمل ضد

حكومة البلد المستهدف، وهي في الحالة السورية تمثل كل من تركيا والأردن وإسرائيل وعدد من التيارات السياسية في لبنان. وتستعين الولايات المتحدة بعدد من الدول ذات النفوذ الاقليمي والدولي،إذ تخدم كأدوات لتنفيذ جزء رئيس من المشروع الأميركي، وهنا تبرز السعودية وقطر كحليفين رئيسين لواشنطن في صناعة وإدارة شبكات الإرهاب التكفيري.

إن الهجمة الإرهابية الغربية ضد سوريا، هي جزء من حملة إمبريالية عالمية لإخضاع الدول المعادية للمشاريع الغربية في مختلف بقاع العالم، وفي هذا السياق ينبغي التنبه إلى الخطر المشترك الذي يتهدد مختلف دول العالم وهو الإرهاب، الذي يعد أخطر أدوات تنفيذ المشاريع الامبريالية الغربية في مختلف بقاع العالم.

ويبقى الصراع مستمراً، غير أن الواقع هو ما يفرض نفسه على الدول في آخر المطاف. إن السياسة الأميركية الحالية تجاه الملف السوري، تقوم على محاولة التغيير وقلب الموازين التي كانت قائمة، والاختتام بنتائج تصب في مصلحة أمريكا وإسرائيل في ملفات المنطقة، التي تتدخل فيها سوريا، ومثلما يمكن أن يترتب نتائج على تغيير الواقع، فإن خروج سوريا منتصرة من أزمتها يفرض قواعد معادلة جديدة في وجه دول العالم أجمع، وبالأخص دول الإقليم والولايات المتحدة.

للانتصار مستحقاته فهو أول ما يعني فشل أطراف الرهان المعادي، وجميع مشاريعهم المرتبطة بمصير الأزمة. وستكون واشنطن أمام منعطف حاسم في سياساتها الاقليمية كلها، فإما أن تصر على عدائيتها وتعدل في أدوات معاداة سوريا،أو تبارك وتحترم الواقع الجديد وتعدل من سياساتها الاقليمية، بالاحتكام إلى الذرائعية والواقعية، كي لا تصبح خارج حسابات الواقع الجديد.